غزوات المصطفى ﷺ

(٤)

غَزْوَةُ بَني النَّضِيرِ

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

طَبَائِعُ لا مثيلَ لَهَا!!

إِذَا أَرَدْنَا مَعْرِفَةَ بَعْضِ طَبَائِعِ اليَهُودِ، فَالأَفْضَلُ أَنْ نَعُودَ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَيْثُ نَجِدُ البَيَانَ الإِلٰهِيَّ قَدْ سَرَدَ طائفةً كبيرةً مِنَ الآيَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ اليَهُودِ وَطَبَائِعِهِمْ، مِنْ ذلكَ مثلاً:

قَسْوَةُ قُلُوبِهِمْ، مصداقُ ذلكَ قولُه تَعَالىٰ:

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

وَمِنها أيضاً : إفْسَادُهُمْ فِي الأَرْضِ ، وَهٰذَا دَيْدَنُهُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، مِصْداقُ ذَلكَ قَوْلُه تَعالىٰ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

[المائدة : ٦٤] .

وَمِنها : نَقْضُهُم لِكُلِّ المواثيقِ وَالعُهُودِ ، وَتَطَاوُلُهُمْ عَلَىٰ الأَنْبِياءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، بَلْ وَقَتْلُهُمْ بَعْضَ الأَنْبياءِ!!

دَليلُ ذلك قولُه سبحانَهُ :

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا

كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ
فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟
كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

[المائدة : ٧٠-٧١] .

* * *

غَدْرٌ... وَخِدَاعٌ... وَمُحاوَلَاتُ قَتْلٍ!!

وَفي منطقةِ (العَوَالي) ـ وَهِي ضَاحِيَةٌ مِنْ ضواحِي المَدِينةِ المنوَّرَةِ ـ كَانَتْ تُقيمُ قبيلةٌ مِنْ قبائلِ اليَهودِ ، وَهِي قَبِيْلَةُ بَنِي النَّضِيرِ ، كَانَتْ تَسْكُنُ فيها ؛ حَيْثُ الماءُ العَذْبُ ، وَالنَّخِيلُ الكثيرُ ، وَالجَوُّ الرَّائِعُ .

وَلَمَّا حَدَثَتِ الهِجْرَةُ المُبارَكَةُ ، عَاهَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَواتُ الله عَلَيهِ بَنِي النَّضِيرِ عَلَىٰ عَدَمِ الاعْتِدَاءِ ، وَوَقَّعُوا عَلَىٰ وَثِيقَةٍ خَطِّيَّةٍ ، لكنْ هَلْ يَلتزمونَ بذلكَ ؟! وَشَاءَ اللهُ أَنْ يَكْشِفَ كَذِبَ مَوَاثِيقِهُمْ وَعُهُودِهُمْ ، فَحَدَثَتْ حَادِثَةٌ بَيَّنَتْ ذَلكَ كُلَّهُ :

ذَاتَ يَومٍ قَتَلَ (عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ) رَجُلَيْنِ مِنْ (بَنِي عَامِرٍ) خَطَأً ، فَانْطَلَقَ (عَمْرُو) إِلَىٰ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم يَطْلُبُ منه المُسَاعَدَةَ عَلَىٰ جَمْعِ الدِّيَةِ لِذَوي القَتيلَيْنِ .

وَكانَ (بَنُو عامرٍ) حُلَفَاءَ (بَنِي النَّضِيرِ) ، فَمَا كانَ مِنَ الرَّسُولِ إلا أَنْ وَعَدَهُ بأَنْ يَدْفَعَ المُسْلِمونَ جُزءاً مِنَ الدِّيَةِ ، وَيَذْهَبَ إِلىٰ بَنِي النَّضير لِيَجْمَعَ الجُزْءَ الثَّاني مِنَ الدِّيَةِ .

وَفي اليومِ الثَّاني انْطَلَقَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ ، وَاصْطَحَبَ مَعَهُ عَشْرَةً مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ ، منهم : أَبُو بكرٍ وعُمَر وعثمانُ وَعَلِيٌّ رَضِي الله عنهم أَجْمَعينَ .

وَلَمَّا وَصَلُوا إِلىٰ (العَوَالي) ، اسْتَقْبَلَهُمْ بَنُو

النَّضِيرِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ زَعِيمُهُمْ (حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ) الَّذي قالَ للرَّسُولِ صَلَواتُ اللهِ عليهِ : مَرْحباً يَا أَبَا القَاسِمِ ، فَقَدْ كُنَّا نَنْتَظِرُ زِيَارَتَكَ لنَا مُنْذُ سَنَواتٍ ، اجْلِسْ تُطْعَمْ وَنَحْنُ مُسْتَعِدُّونَ لِنَقْضِي حَاجَتَكَ .

فَأَخْبَرَهُمُ المُصْطَفَىٰ صلى الله عليه وسلم بِسَبَبِ زِيَارَتِهِ لَهُمْ .

فَأَظْهَروا اسْتِعْدَادَهُمُ التَّامَّ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَجْلِسَ قَليلاً وَيَرْتاحَ ، وَذلكَ رَيْثَما يَقُومُونَ بِجَمْعِ الأَمْوالِ مِنْ أَغْنِياءِ القَبِيلَةِ .

وَجَلَسَ المُصْطَفى وَصَحَابَتُهُ إِلَىٰ جِوَارِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتَاتِهِمْ ، وَقَدَّمُوا لَهُ بَعْضَ أَنْواعِ الشَّرابِ ، بَيْنَما كَانَ كِبَارُهُم يَتَشَاوَرُونَ في كيْفِيَّةِ القَضَاءِ عَلَىٰ الرَّسُولِ وَمَنْ مَعَهُ!!

وَأَخيراً اتَّفَقُوا عَلَىٰ مشُورَةِ أَحَدِ كِبَارِهِمُ الَّذِي قالَ : يَا قومُ ! لَنْ تَجِدُوا مُحَمَّداً أَقْرَبَ مِنْهُ الآنَ ، فَمَنْ رَجُلٌ يَظْهَرُ عَلَىٰ هٰذا البَيْتِ فَيَطْرَحَ عَلَيْهِ صَخْرةً فَيُرِيحَنا مِنْه ؟!

فقال (عَمْرو بْنُ جحّاشٍ) : أَنَا لَها .

وَصَعِدَ (عَمْرٌو) حَائِطَ البَيْتِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يُلْقِي الصَّخْرَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَهُ عَلَىٰ الفَوْرِ .

فَقَامَ رَسُولُ اللهِ وَقالَ لِمَنْ مَعَهُ : « لَقَدْ هَمَّتْ يَهودُ بِالغَدْرِ ، فَأَخْبَرَنِي اللهُ بِذَلكَ ، فَقُمْتُ » .

وَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] :

* * *

﴿وَلِيخزي الفاسقين﴾

وَلمَّا شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ أَنْ يُخْزِيَهُمْ ويُذِلَّهُمْ ، أَمَرَ رَسُولَهُ صَلواتُ اللهِ عَلَيْهِ أَنْ يُرسِلَ إِلَيْهِمْ إِنْذَاراً شَدِيدَ اللَّهْجَةِ بِأَنْ يَخْرُجُوا فَوْراً .

فَمـا كـانَ مِنهُـمْ إلا أَنْ تَحَصَّنُـوا دَاخِـلَ حَصُونِهِمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَىٰ الرَّسُولِ مَنْ يَقُولُ لَهُ :

إِنَّا لا نَخْرُجُ... ، وَنَحْنُ مُسْتَعِدُّونَ لمقاتَلَتِكَ!

عندَئِذٍ أَمَرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم المسلمينَ بالتوجُّهِ إِلَىٰ قتالِ بَنِي النَّضيرِ .

فانطلقَ المُسْلمونَ مُشَاةً إِلىٰ حيِّهِمْ ، فَبَلَغُوه عَصْراً ، وَهُناك صَلَّىٰ الرَّسُولُ بالصَّحَابَةِ صَلاةَ

العَصْرِ ، وَبَدَأَ بِحِصَارِ اليَهُودِ .

وَلَمَّا لَمْ يَسْتَسْلِموا ، أَمَرَ الرَّسُولُ بِتَهْدِيمِ بُيوتِهِمْ وَتَحْريقِ أَشْجَارِهِمْ ، فَعَلَتْ أَصْواتُ نِسائِهِمْ بالبُكاءِ وَالعَويلِ .

وَعندئِذٍ أَرْسَلَ زَعيمُهُمْ (حييُّ بْنُ أَخْطَبَ) رِسَالةً إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ يُعلِنُ فِيها اسْتِسْلامَ بَني النَّضِيرِ ، شَرِيطَةَ أَنْ تُحْفَظَ عَلَيْهِمْ أَمْوالُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ .

فَوَافَقَ الرَّسُولُ عَلَىٰ أَنْ يَحْمِلُوا مَا تَحْمِلهُ إِبِلُهُمْ فَقَطْ .

لٰكِنَّ اليهودَ الماكرينَ قَاموا بتخريبِ بيوتِهِمْ ، وَذلكَ حَتَّىٰ لا يَسْتَفِيدَ مِنْها المُسْلمونَ ، وَغادَرُوا إِلىٰ (خيبرَ) ، وَمِنْهُمْ مَنْ غَادَرَ إِلىٰ الشَّامِ .

وَخلَّدَ اللهُ تَعالىٰ ذلك بِقَوْلِهِ : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر : ١-٥] .

وَهَكَذَا تَمَّ إِجْلاءُ بَنِي النَّضِير الَّذين تَرَكوا الكَثِيرَ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَشْجَارِ وَرَاءَهُمْ وَالمتاعِ ، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم إلا أَنْ

قَسَمَها بَيْنَ المُهاجِرِينَ فَقَطْ ، وَلَمْ يَقْسِمْ مِنها شَيْئاً للأنْصَارِ ، وَذلكَ لأَنَّ المُهاجِرِينَ كانُوا لا يَمْلِكُونَ المَالَ وَلا البساتينَ ، وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْد أَخْذِ إِذْنِ الأَنْصَارِ ، حيثُ قَالَ الرَّسُولُ بَعْدَها : « اللَّهمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الأنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ » .

والحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمينَ

* * *